

تنامي ظاهرة قتل الأبناء آباءهم: أول العلاج تنشئة عائلية واجتماعية سليمة

لم يعد حسم النزاعات الاسرية في السنوات الاخيرة بالحلول الموقته، بل بالقتل كحل نهائي اختاره الابن للحصول على مكان والده ومكانته في العائلة، بدافع المنافسة والشعور بالكرهية. يأتي ذلك في ظل تطور في المجتمع خسر الاب معه سلطته ودوره، خصوصا التربوي الذي سيدخل اولاده في حالة نفسية مرضية تنطبق على المجرمين الكبار

مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي واستخدامها السيء، اصبح اللجوء الى العنف، في نظر المراهقين، بطولة، في وقت اجمع فيه علماء الانثروبولوجيا والتاريخ على وصف مجتمعاتنا بالقلقة والمعنفه والدائمة التوتر. وهذا واقع يفرض تعاوناً وتنسيقاً بين كل فئات المجتمع

لأفرادها. لكن ما دعا المجتمعات القديمة الى التطور، كما يقول اب التحليل النفسي سيغموند فرويد، فهو انزعاج الابناء من سلطة والدهم المطلقة في العائلة، فيتضامنون ضده ويقتلونه ليشكلوا مجتمعهم الخاص. عن هذه الظاهرة التي تغزو حاضرتنا، حاورت "الامن العام" استاذ الدراسات العليا للعلوم الجنائية والعقابية في الجامعة اللبنانية الامين العام للمركز اللبناني لحكم القانون والنزاهة والمنظمة العربية للمسؤولية الجنائية العميد الدكتور فضل زاهر، والمحللة النفسية مي شاهين.



زاهر : مجتمعاتنا قلقة معنفة ودائمة التوتر

■ من موقعك كباحث جنائي متخصص، كيف تنظر الى ازدياد جرائم قتل الابناء آباءهم؟
□ لا شك في ان هذه الافعال التي تشكل مظهرا من مظاهر الجرائم التي تمس العائلة، بدءا بالتحرش الجنسي او الاعتداء الجنسي والاعتصاب، انتهاء بازهاق الروح لدوافع واسباب مادية ومعنوية، لا تبرر الفعل ايا تكن الظروف. فقد جرمت هذه الافعال، منذ القدم، في الشرائع السماوية والقوانين الوضعية في كل المجتمعات. علما ان من شأن هذه الجرائم استثارة الرأي العام كونها صادمة وتهتز الضمائر لها، باعتبارها مؤشرا لظاهرة التحلل التدريجي والتصاعدي للروابط الاسرية.

■ في ضوء هذه الدراسات ونتائجها، بالعودة الى موضوع النزاعات الاسرية، ماذا تقترح من معالجات؟

□ هذا الواقع يفرض تعاوناً وتنسيقاً بين كل فئات المجتمع وشرائحه، من اجل الحد من التوغل في ثقافة العنف واللاتسامح ورفض الاخر، مختلفا كان ام مشابهها، اضافة الى الانسياب وراء الميول والدوافع الغرائزية المادية في معظم الاحيان. هذه الثقافة منطلقاتها اجتماعية موروثه، وذلك باجماع علماء الانثروبولوجيا والتاريخ الذين وصفوا مجتمعاتنا بالقلقة والمعنفه والدائمة التوتر. اي معالجات جديدة في هذا المجال توجب تخطيطاً استراتيجياً شاملاً، يبدأ بتفعيل دور التنشئة الاجتماعية، الاسرية والمدرسية والمهنية في سائر ميادين التفاعل الاجتماعي، خصوصا بالنسبة الى مساعدة الاطفال على بناء ذواتهم وطبع شخصياتهم بأليات التكيف سعياً وراء النجاح. على ان يكون التفاعل الاجتماعي بعيداً من الكذب والسرقة والعنف والعداونية، التي غالباً ما ينشأ عليها اولادنا، من خلال القدوة غير الصالحة، او الاعلام غير الراعي المسكون بهاجس السبق الصحافي، او الاستخدام السييء لوسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات التكنولوجيا الحديثة.

■ ما الحل في رأيك؟

□ ان تبادر وزارات العدل والداخلية والاعلام الى تشكيل لجنة مشتركة من الخبراء ذوي الاختصاص، مهمتها وضع الضوابط العلمية



المعالجات الجديدة تبدأ بالتنشئة الاجتماعية والاسرية والمدرسية



العميد الدكتور فضل زاهر.



لا احترام القوانين النافذة حول سرية ما يتصل بشؤون الاسرة من اجراءات ادارية وقضائية تفادياً لانعكاساتها السلبية على هذه الخلية الاجتماعية عموماً، وعلى الاطفال، خصوصا من يجدون في تشويه السمعة المتبادل بين ذويهم في وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي تحطيماً لشخصياتهم واشتراكاً جرمياً في اعتداء مقصود يبلغ اذاه حدود القتل، فتتحرك في ذواتهم دوافع نفسية ضاغطة للانتقام من المجتمع ومن ذويهم، اما انتحارا او هرباً، او ادمانا باختلاف اشكاله، طالما ان وسائل هذا الانتقام متاحة، كالسلاح المتفلسف والمخدرات والغطاء السياسي او الفئوي لمنع الملاحقة الجزائية، او الحد منها لاسباب تبريرية تسمح بها قوانيننا الهادفة الى الانتقام من الجاني والتخلص منه، بدلا من تخليصه من دوافع اجرامه واعادة تأهيله ودمجه في المجتمع. الموجب، في هذا المجال، توضيح المادتين المهمتين عن العته والجنون في قانون العقوبات، بعدما تحولتا الى شجاعة يلجأ اليها المدافعون عن الجناة، اصحاب الحظوة.

شاهين: سلب الاب سلطته يجعله من ابناءه مجرمين

■ ماذا يعني قتل الاب في علم النفس التحليلي؟
□ اذا اردنا العودة الى الوراء، وتحديدًا الى المجتمعات البدائية، سنجد في تاريخ هذه الشعوب ما شكل ظاهرة لافتة تختصر معاني كثيرة في هذا المجال. وقد تمثل هذا الامر بتصيب قائد متسلط على كل مجموعة قبلية ليكون، في الوقت نفسه، الاب المعنوي لافرادها. لكن في حال اصيب هذا الاب بالضعف سيقرر شبان هذه القبيلة ازاحته. في علم النفس ارتكز العالم سيغموند فرويد على علاقة الابن بابيه من باب تحكم عقدة اوديب بمسار حياته، اضافة الى المحرمات التي تتحكم بمجرى هذه العلاقة. الابن يريد التشبه بوالده ويتمنى ان يكون رجلا مثله، يتماهى به في بعض التفاصيل، لكن ادراكه ان ذلك من المحرمات سيردعه عن تحقيق امنياته، لان الاب هو من يقف الى جانب الام ولا احد غيره.

■ اي شعور يمتلك الابن في هذه الحالة؟
□ يمتلكه الشعور بمنافسة والده على امه بهدف ازاحته والحلول مكانه. لذا نرى الصبي متعلقًا بامه، والعكس تمامًا مع الابنة حيث تتعد عن والدتها، خصوصًا في مرحلة المراهقة التي نعتبرها في علم النفس مرحلة الاستحقاق الكبير. عقدة اوديب ليست اسطورة اغريقية فقط، بل هي حالة نفسية يعيشها الابن في مرحلة معينة من حياته، فيتعلق بامه ويكره والده. هذا الشعور بالكراهية هو الذي يدفعه الى قتل ابيه بغية الاستيلاء على مكانه. بكلام ادق، للحصول على مكانته في العائلة. كل هذه المشاعر يعيشها الولد في اللاوعي، بداية، من تمنييه موت والده كرها به بعد دخوله في منافسة معه على قلب امه. فاذا توقفتنا عند حالات يعيشها بعض الاطفال على اثر وفاة والدهم، تحديدًا من سن الرابعة وحتى السادسة من عمرهم، سنجدهم في مشكلة من الصعب الخروج منها بسهولة هي الاحساس بالذنب، لانهم تمنوا موت والدهم في السابق. هذا ما تكشفه عقدة اوديب. اما بالنسبة الى

المحرمات، فقد اعتبر فرويد مرحلة ما قبل تأسيس المجتمعات الحديثة مهمة جدا من ناحية انزعاج الابناء من سلطة والدهم المطلقة في العائلة، فيتضامنون ضده ويقتلونه ليشكلوا مجتمعهم الخاص. هذه الواقعة اعتبرها فرويد السبب الذي دفع المجتمعات الى التطور.

■ الم تختلف هذه الممارسات في المجتمعات الحديثة، وما الذي تطور فيها؟
□ عامل التطور تمثل في تسلم الام السلطة في البيت، وهي بتصدرها هذا الموقع عمدت الى وضع الاب جانبا. الامر الذي ادى الى اختلال في العائلة، وبالتالي الى اختلال في العلاقات العاطفية مع الاولاد. لهذا السبب نلاحظ ارتفاعا في عدد الشاذين جنسيا في مجتمعاتنا. ربما في السابق لم يتحدث احد عما نسميه اليوم ظاهرة، ولا نقصد هنا الشذوذ الجنسي، بل سلب الرجل سلطته التي تعتبر سلطة معنوية لها مكانتها في المجتمع. فاذا قام الاب بدوره في التربية وقال لابنه هذا غير مسموح فعله، سيستوعب الولد ما هو مسموح به وغير مسموح به. لكن اذا لم يلعب الاب هذا الدور سيدخل اولاده في حالة "سيكوباتي"، اي الاضطراب العقلي التي تنطبق كحالة نفسية مرضية على المجرمين الكبار، بمعنى ان سلب الاب دوره سيجعل من اولاده مجرمين.

■ الا تعتبرين ان انتشار العنف بكثرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ساهم في ازدياد هذا النوع من الجرائم؟
□ طبعا، ساهم في نسبة عالية. كنا نمنع الاولاد في السابق عن مشاهدة افلام العنف بسبب تأثيرها السلبي عليهم. اين نحن منها الان حيال ما تعرضه هذه الوسائل من شرائط عنف تتضمن عمليات ذبح يتداولها الاولاد من دون رقابة، علما ان هذا ما جعلهم اكثر عدائية من قبل، حتى في الغرب، حيث يقدم المراهقون على جرائم قتل يشاهدها الاولاد في لبنان في اي لحظة من دون ان

”
التعنيف الجسدي
يولد احساسا عند الولد بأن
رجولته سلبت منه



المحللة النفسية مي شاهين.

يدركوا مخاطرها. المشكلة، هنا، هي في اعتبار اللجوء الى العنف بطولية. لذا، يعتقد المراهقون انهم سيكتسبون القوة والرجولة في لجوتهم الى هذه الوسائل العنيفة من اجل الاستيلاء على موقع الاب. التعنيف الجسدي الذي يمارسه الاباء، في كل اشكاله، يولد في اعماق المراهق احساسا بأن رجولته سلبت منه. وما تفسير علم النفس لهرب المراهقين من بيوتهم سوى انه هرب من ارتكاب جريمة قتل في العائلة، وفي الوقت نفسه، هو بحث عن امكنة يسترد فيها هذا المراهق، احساسه بالرجولة.

■ كما نلاحظ، الابن هو مرتكب هذه الجرائم لا الابنة، رغم ما تتعرض له من اذى يفوق بكثير ما يتعرض له الابن على يد والده. ما تفسيرك للامر؟
□ لا تقدم الابنة على قتل والدها مهما بلغت حدة معاناتها على يده. بدلا من ان تتجه نحو القتل، كرد فعل على ما ارتكب في حقها، ستتجه نحو الدعارة والسرقة.

لبناني وشايف حاله بأسعاره